



رابطة العالم الإسلامي

الأمانة العامة

الإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

التحيز غير العادل في قضايا المسلمين

إعداد

الدكتور يوسف جمعة سلامة

خطيب المسجد الأقصى المبارك - فلسطين

مقدم إلى

المؤتمر الإسلامي العالمي

مكافحة الإرهاب

الذي تنظمه

رابطة العالم الإسلامي

تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين

الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود

مكة المكرمة

٣ - ٦ / جمادى الأولى / ١٤٣٦ هـ، الموافق: ٢٢ - ٢٥ / فبراير / ٢٠١٥ م



رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية

صندوق البريد (٥٣٧) أو (٥٣٨) مكة المكرمة (٢١٩٥٥)

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠٠٩١٩ - الفاكس: ٥٦٠١٣١٩ - ٥٦٠١٢٦٧

برقياً: رابطة - مكة، تليكس: ٥٤٠٣٩٠ و ٥٤٠٠٠٩

www.themwl.org

البريد الإلكتروني للإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

conferences@themwl.org

واتس أب: ٠٠٩٦٦٥٠٣٣٩٦٣٢٠ :whatsApp

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذي أنعم علينا بالإسلام، وشرح صدورنا للإيمان، والصلاة والسلام علي سيدنا محمد ﷺ وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، ومن سار على دربهم إلى يوم الدين، وبعد:

من المعلوم أن انتشار الإسلام في العالم يؤكد الحقيقة التي لا مجال للشك فيها، وهي أن الإسلام لم ينتشر بفعل القوة والسيف كما يدعى ذلك كثير من الجهال والحاقدين، حيث إن حقائق التاريخ تكذب هذا الرأي الخاطيء، فالإسلام إنما توطدت أركانه بفضل الله سبحانه وتعالى أولاً، ثم نتيجة ما تحلّى به المسلمون الأوائل من الصبر على الأذى، والهجرة في سبيل الله، والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، والتبليغ السليم، والقدوة الصالحة، والمعاملة الحسنة، ومن الجدير بالذكر أن هناك حقيقة تاريخية يجب أن يعلمها الجميع، وهي أن المسلمين عندما انطلقوا لنشر رسالة الإسلام في الأرض تركوا للناس حرية الاعتقاد، ولم يُجبروا أحداً على اعتناق الإسلام، فانتشار الإسلام في شتى بقاع المعمورة بهذه السرعة يؤكد الروح السمحة التي عامل بها المسلمون غيرهم، مع العلم أن العالم كله وقتئذ كان يعيش في برك من الدم، وصراع آثم حول إكراه الناس على العقائد، حتى جاء القرآن الكريم يقول للناس: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

إنه الخلق الإسلامي الرفيع الذي ربّى عليه الرسول الكريم ﷺ أصحابه، ففتحوا البلاد، وطأطأ لهم الشرق والغرب إجلالاً واحتراماً.

ألم يقل الله لرسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

ألم يقل الرسول ﷺ عن نفسه: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(١).

ألم يقل الشاعر:
وَإِنَّمَا الْأُمَّمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ * * * فَإِنْ هُمْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

لقد فاض الإسلام بالبر والعدل في معاملاته كلها للمسلمين وغير المسلمين، وحرص على أن يكون المسلم باراً عادلاً مع الناس جميعاً مسلمين وغير مسلمين، لا يمنعه اختلاف الدين أو الرأي من نصرة الحق وإقامة العدل، انطلاقاً من قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، ومن المعلوم أن ديننا الإسلامي قام على التسامح والتراحم مع غير المسلمين، بل تخطى التسامح إلى التكريم عرفانا بالحق، فقد كرم الإسلام أهل العلم والحكمة، واعترف بفضلهم بغض النظر عن دينهم أو جنسياتهم والتاريخ يشهد بذلك، كما أن المسلمين عندما كانوا منتصرين لم يظلموا أحداً، بل عاملوا غيرهم بروح الإسلام السمحة وبعده المنصف، وما العهدة العمرية التي عقدها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع بطريك الروم صفرونيوس عنا ببعيد، وكذلك رفضه رضي الله عنه لعرض أسقف بيت المقدس بالصلاة في الكنيسة حفاظاً على الأماكن المقدسة للنصارى، لئلا يدعي بعض المسلمين أحقيتهم في ذلك المكان، قائلين: هنا صلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويجعلوه مسجداً.

من المعلوم أن الناس جميعاً أمام الشريعة الإسلامية الغراء سواء، فالإسلام لا يكيل بمكيالين، بينما القوانين الوضعية تكيل بمكيالين، ولا تعرف المساواة بين البشر والدول، فهناك عشرات القرارات الصادرة عن المحاكم

(١) أخرجه البخاري.

الدولية والأمم المتحدة لم تُنفذ، ولم يُحرَّك أحدٌ ساكنًا لتنفيذها.
 ما موقف العالم من عشرات القرارات الصادرة لمصلحة الشعب
 الفلسطيني ومنها: إنهاء الاحتلال الإسرائيلي وعودة اللاجئين؟!
 ما موقف العالم من الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة على المسجد
 الأقصى المبارك والمقدسات الإسلامية والمسيحية؟!
 ما موقف العالم من عشرات القرارات المنددة بالاستيطان والمطالبة بوقفه،
 وتصفه بالعمل الإجرامي؟!
 ما موقف العالم من قرار محكمة العدل الدولية بخصوص جدار الفصل
 العنصري؟!
 ماذا فعل العالم أمام جرائم الاحتلال الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني
 وأرضه ومقدساته ومؤسساته؟!
 وما موقف العالم من الإساءات المتكررة للأنبياء والمرسلين - عليهم
 الصلاة والسلام-.
 وماذا فعل العالم لمجرمي الحرب الذين يُقتلون المسلمين في أنحاء
 المعمورة؟!!

لم يفعل العالم شيئاً، بل صدق فيهم قول الشاعر:
 قَتْلُ امرئٍ في غابة جريمةٌ لا تُغتفر * * * وقتلُ شعبٍ آمنٍ مسألةٌ فيها نظر

ومن الجدير بالذكر أن المسلمين يتعاونون ويتآزرون مع بعضهم البعض
 بعيداً عن إيذاء الآخرين أو الإساءة إليهم، فهم ينطلقون في معالجة قضاياهم
 ومشكلاتهم من توجيهات رسولنا محمد ﷺ بأن المؤمنين كالجسد الواحد،

كما في قوله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَنِعَاطِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»^(١)، وقوله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»^(٢)، وقوله أيضا: «مَنْ لَمْ يَهْتَمْ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ»^(٣)، فيجب علينا أن نهتم بقضايا أشقائنا المسلمين في كل بلاد العالم.

ومن هنا فقد أثرت الكتابة في هذا الموضوع (التحيز غير العادل في قضايا المسلمين)، وذلك نظراً لما يتعرض له بعض المسلمين من اضطهاد، حيث إن الكثير من دول العالم تكيل بمكيايين في تعاملها مع القضايا العربية والإسلامية، وتقف مع المحتل البغيض للدفاع عنه وعدم محاسبته وإلزامه بالقرارات الدولية الصادرة عن مجلس الأمن.

كما نرى أن رسولنا ﷺ يتعرض بين الفينة والأخرى لإساءات مختلفة من خلال الرسوم المسيئة، ومع ذلك لا نجد من يتخذ العقوبات الرادعة ضد أصحاب هذه الإساءات، التي تمس مشاعر المليار ونصف المليار مسلم في العالم.

وفي الختام نوجه رسالة لأولئك الذين أساءوا فهم الإسلام ولم يتعمقوا في دراسة تعاليمه، ولم يُحسنوا قراءة التاريخ، أن الواجب عليهم دراسة الإسلام وفهم مقاصده، ليتعرفوا على أحكام الإسلام في معاملة غير المسلمين، هذه المعاملة التي تُظهر جوهر الإسلام وعدله وتسامحه، والله الهادي إلى الصراط المستقيم..

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

(٣) أخرجه البيهقي.

أولاً: العدل في الإسلام

لقد أكرمنا الله سبحانه وتعالى بالإسلام ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، هذا الدين الذي حتم الله به الرسالات ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ومن فضل الله علينا أن ديننا الإسلامي قد تضمن مبادئ جليلة وأحكاماً عظيمة وأخلاقاً رفيعة، عندما نتمسك بها نكون من السعداء في الدنيا والآخرة.

ومن جملة تلك المبادئ والأحكام التي جاء بها الإسلام: مبدأ العدل والإنصاف بين الناس فيما لهم من حقوق وعليهم من واجبات، ففضيلة العدل من الصفات الكريمة التي دعا إليها الإسلام، ومن المعلوم أن ديننا الإسلامي قد دعا إلى التزام العدل في شتى الأقوال والأفعال والسلوك، فالعدل هو وظيفة الرسل الكرام -عليهم الصلاة والسلام-، كما أنه غاية الرسالات السماوية كلها: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]، فبالعدل قامت السموات والأرض، والعدل مفتاح الحق، وجامع الكلمة، ومؤلف القلوب، ولأهمية العدل في الإسلام، فقد وردت مادة (العدل) في القرآن الكريم (٢٨) مرة، ووردت كلمة القسط المرادفة لها (٢٥) مرة.

إن الأمة الإسلامية هي أمة الحق والعدل، لذلك فقد أمرها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بإقامة العدل، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]، والمقسطون هم العادلون، وقوله

سبحانه وتعالى أيضا: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُّا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥]، وقد أمر الله بالعدل في الأحكام كما أمر به في الأقوال، حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، ويقول أيضا: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

كما حثنا رسولنا ﷺ في كثير من الأحاديث على العدل وشجع عليه ودعا إليه، كما في قوله ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَىٰ مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ، وَكَلَّمَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»^(١). فأى ترغيب أعظم، وأي شرف أجل وأكبر كما هو في العدل وأهله، إن أهل الإقساط والعدل على منابر من نور، وأين؟ إنهم عن يمين الرحمن، فأى كرامة أكبر من هذه الكرامة؟!

لقد كانت البشرية قبل بزوغ فجر الإسلام - كما هي الآن في بعض الدول - تعرف العُدوان أكثر مما تعرف الحق، وتحترم القوة أكثر مما تحترم الحقوق، والإنسانية تعيش في ظلمات بعضها فوق بعض، يفتك القوى بالضعيف، ويأكل القادر حقوق العاجز، ومع ذلك عرف العرب في جاهليتهم حلف الفضول..^(٢)، أن ينصروا المظلوم، ويقفوا معه حتى يأخذ حقه من الظالم، وذلك الحلف الذي قال فيه الرسول ﷺ: «لَوْ دُعِيْتُ إِلَيْهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُهُ»^(٣).

(١) أخرجه مسلم.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١/١٣٣.

(٣) أخرجه مسلم.

وجاءت رسالة الإسلام، رسالة الحق والعدل والمساواة، حيث أشرفت الأرض بنور ربها، وارتفعت كلمات رسول الله ﷺ يوم حجة الوداع: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ فِي بَلَدِكُمْ هَذَا»^(١).

وعند دراستنا لكتب السيرة نجد الأمثلة الرائعة في عهد النبوة لتطبيق العدل، دون أن يميل مع القربى، أو يحيف مع الشنان، وسنضرب لذلك مثالين:

أولاً: عندما جاء أسامة بن زيد رضي الله عنه يشفع لمخزومية سُرقت، فكانت كلمات رسول الله ﷺ نوراً يهدي من بعده: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»^(٢)، فالرسول ﷺ لم يقبل أن يختل ميزان العدالة لأجل أحد، وفي هذا الحديث الشريف عرض رائع تبرز فيه شخصية الرسول الكريم ﷺ في مشهد من أروع مشاهد العدل والمساواة والحزم في سبيل الانتصار للحق.

إن رسولنا ﷺ ضرب هنا أروع الأمثلة في تطبيق مبدأ العدالة والمساواة دون تفریق بين قوي وضعيف، وكبير وصغير، وشريف ووضيع، فالكل أمام الشرع سواء، لا يُراعى الغني لغناه، ولا يُحابى الشريف لشرفه ومنزلته، فالناس سواسية كأسنان المشط، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقوله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ: أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ

(١) أخرجه مسلم.

(٢) متفق عليه.

وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضَلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى»^(١).

ثانياً: كان ذلك عندما تواطأ البعض على اتهام يهودي ظلماً بسرقة وقعت في المدينة المنورة، (فقد روي أن رجلاً من الأنصار يقال له: «طُعمة بن أُبَيْرِق» من بني ظفر، سرق درعاً من جاره «قتادة بن النعمان» في جراب دقيق، فجعل الدقيق ينتشر من خرقٍ فيه، فخبأها عند «زيد بن السمين» اليهودي، فالتُمتست الدرع عند طُعمة فلم توجد، وحلف ما أخذها وما له بها علم فتركوه، واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودي فأخذوها، فقال: دفعها إليّ طُعمة وشهد له ناسٌ من اليهود، فقالت بنو ظفر: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ، فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وشهدوا ببراءته وسرقة اليهودي، فَهَمَّ رسول الله ﷺ أن يفعل، فنزلت الآيات ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْتكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ١٠٥﴾ وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ١٠٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿[النساء: ١٠٥-١٠٧]... الخ الآيات، وهرب طُعمة إلى مكة وارتد، ونقب حائطاً بمكة ليسرق أهله، فسقط الحائط عليه فقتله)^(٢).

ومن المعلوم أن ديننا الإسلامي قد حرّم الظلم، فقد حرّم الله الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرّماً، فقال تعالى في الحديث القدسي: «يا عبادي، إني حرّمتُ الظلمَ على نفسي، وجعلتُه بينكم محرّماً، فلا تظالموا»^(٣)،

(١) أخرجه أحمد.

(٢) صفوة التفاسير للصابوني / ١ / ٢٩٩.

(٣) أخرجه مسلم.

وجعل الظلم قرين الشرك بالله، كما قال سيدنا لقمان لولده: ﴿يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۗ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، ومن الجدير بالذكر أن الظلم يحدث الاضطراب بين الأفراد والجماعات وينشر الرعب والفساد، ويحيل الحياة إلى جحيم لا يُطاق، في ظلّه ينمو النفاق، وفي كنفه يكثر الشقاق وتشتد الخصومات، ويضعف الدين في القلوب وتُسلب الحقوق وتُهدر الحرية وتُداس الكرامة، وصدق رسولنا محمد ﷺ في قوله: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١)، فما انتشر الظلم في قرية إلا دمرها ولا في أمة إلا أهلكتها ولا في عائلة إلا أفناها، ولا اتصف به شخص إلا كان من الهالكين، كما قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لِيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾»^(٢).

إن الطغيان والظلم يرجع تاريخه منذ وجود الإنسان على هذه الأرض، حين اعتدى أحد ابني آدم على أخيه وسفك دمه ظلماً وعدواناً، واندفاعاً نحو تحقيق الأطماع والمصالح الذاتية، فكان قدوة سيئة للعدوان والطغيان، وباء بالخسران وبالخزي والندامة على فعلته البشعة، وقد قصّ الله تعالى في القرآن الكريم خبر هذا الظلم والعدوان بقرآن يتلى إلى يوم القيامة، قال الله تعالى:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنَّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ

(١) أخرجه مسلم.

(٢) أخرجه الشيخان.

فَقَنَلَهُ، فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ، كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُنَوِّلتِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿المائدة: ٢٧-٣١﴾.

لقد ساد نور العدل وعمّت شمس المساواة بين الناس منذ بزوع فجر الإسلام، فالتزم المسلمون بالعدل قولاً وعملاً..

هذا هو الإسلام دين الحق والخير، دين العدل والمساواة، سبب السعادة والرخاء، لمن أراد أن يحيا حياة كريمة وينال الخير في الدنيا والآخرة.

ثانياً: قضايا المسلمين في العالم

حقوق الإنسان في الإسلام

من المعلوم أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان قد صدر في ديسمبر سنة ١٩٤٨م وذلك في وثيقة دولية رسمية، ويُعد الميثاق العالمي لحقوق الإنسان الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٠ / ١٢ / ١٩٤٨م تويجاً للحضارة الإنسانية، ولجهود المفكرين والمصلحين في العصر الحديث، حيث صدر الميثاق بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بسنوات قليلة.

لقد كان الإسلام سبباً قافياً إلى الإقرار للإنسان بحقوقه، فالإنسان في الإسلام صاحب مركز خاص في الكون من حيث أصل خلقته: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، ومن حيث مكانته في الأرض ورسالته: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، ومن حيث قدراته وملكاته واستعداده: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، ومن حيث مسؤوليته عن عمله: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]، وعدم مؤاخذته بجريرة غيره: ﴿وَلَا نُزِرُ وَأَرْزُ وَرَزَّ آخَرَى﴾ [الإسراء: ١٥].

هكذا أنصف الإسلام الإنسان وكشف عن جوهره الفريد، ومركزه في الكون ورسالته في الحياة، فحقوق الإنسان في الإسلام تنبع من التكريم الإلهي للإنسان، فالإنسان سيد هذا الكون، خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، فكل ما في هذا الكون مسخر لخدمة الإنسان، ومن المعلوم أن الإسلام قد كرم الإنسان مهما كانت عقيدته، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠].

وحقوق الإنسان في الإسلام تركز على مبدأين أساسيين هما: مبدأ المساواة بين كل بني الإنسان، ومبدأ الحرية لكل البشر، والتاريخ الإسلامي سجّل للخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه مواجته الحاسمة لانتهاك حقوق الإنسان، في قوله: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟».

- صيانة الضرورات الخمس للحياة البشرية:

إنّ ديننا الإسلامي الحنيف هو أول من نادى بحقوق الإنسان وشدّد على ضرورة حمايتها، فقد كان الإسلام سبباً إلى الإقرار للإنسان بحقوقه، وإلى الحثّ على صون هذه الحقوق وحفظها منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، فالإسلام هو أول من قرر المبادئ الخاصة بحقوق الإنسان في أكمل صورة وأوسع نطاق، كما عمل على إحاطة هذه الحقوق بالرعاية وشمولها بالعناية، مع العلم بأنّ الشريعة الإسلامية الغراء تحتفظ بكونها أسبق وأعمق وأشمل من أيّة قوانين وضعية.

ومن الجدير بالذكر أن كلّ دارس للشريعة الإسلامية يعلم أنّ لها مقاصد تتمثل في حماية حياة الإنسان ودينه وعقله وماله وأسرته، فمن أول مقاصد الشريعة الإسلامية صيانة الأركان الضرورية للحياة البشرية وهي: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، وقد بين الإسلام الأحكام الفقهية التفصيلية التي تمثّل سياجاً لصيانة هذه الضرورات وكيفية المحافظة عليها، حيث ذكر الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه «المستصفى» أنّ حرمة الضرورات الخمس لم تُبَحّ في ملّة قط، وقال بذلك الإمام أبو اسحاق الشاطبي في كتابه «الموافقات في أصول الشريعة»، ومن المعلوم أنّ هذه الأمور لا بُدّ منها لإقامة الحياة الصالحة، فإذا فُقد بعضها انهارت الحياة الإنسانيّة أو اختلت وفسدت.

- حرمة الدماء:

من المعلوم أن هناك أدلة كثيرة من الكتاب والسنة تبين مدى اهتمام الإسلام بالإنسان، فقد حذر الرسول الكريم ﷺ من الاعتداء على الإنسان، فقال ﷺ: «لَزَوَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ»^(١)، ويقول أيضاً: «لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَكْبَهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ»^(٢)، كما ورد عنه ﷺ أنه قال: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»^(٣)، كما بيّن القرآن الكريم الغضب الشديد الذي يلحق بالقاتل جزاء فعلته الشنيعة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: 93]، وقد رسم الإسلام الخطوط العريضة لسلامة الإنسان وكرامته وعدم الاعتداء عليه وقتله، فقال ﷺ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثِّبُّ الزَّانِي، وَالْمَفَارِقُ لِدِينِهِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ»^(٤).

ومن الأمور المؤسفة في هذه الأيام أن كرامة الإنسان قد ديست، وأن الاعتداء على حياته أصبح سهلاً وهيناً، فنسمع عن حوادث قتل المسلمين، حيث يُقتل الرجال ويؤتّم الأطفال، وتُرْمَلُ النساء، وتُخرب البيوت، وهذا كله يخالف تعاليم الإسلام التي تنص على حرمة الإنسان.

(١) أخرجه الترمذي.

(٢) أخرجه الترمذي.

(٣) أخرجه البخاري.

(٤) أخرجه البخاري.

إن أمتنا الإسلامية اليوم تتعرض لمؤامرات عديدة، فنرى دماءً تُسفك، وجراحاتٍ تُنزف، وأرضاً تتقطع، وفي الجملة فجسم العالم الإسلامي مثقلٌ بالجراح، ومن المعلوم أن الإسلام يتعرض في عصرنا الحاضر لحرب طاحنة من جهتين معروفتين في العالم:

جهة تُنكر الدين من أساسه، وتعمل على بثِّ الشُّبه في تاريخنا وفي حضارتنا وفي يومنا وفي غدنا على أساس من تفسيرها المادي للتاريخ، وعلى أساس من الإلحاد الذي تُبشِّر به، وجهة أخرى ترى أن لها ثأراً عند الإسلام والمسلمين، وأن هذا الثأر لا يمكن أن يُنسى.

ونحن هنا نتساءل: أما آن لهذا العالم أن يحكم بالعدل، وأن يفرِّق بين الجاني والضحية؟!

أما آن لهذا العالم أن يترك لغة المصالح، ليحتكم إلى لغة المبادئ؟!
أما آن للشعب الفلسطيني أن يتنفس نسائم الحرية كباقي شعوب الأرض؟!
نسأل الله أن يسود العدل في جميع أرجاء الكون ليعيش الناس جميعاً حياة
آمنة مطمئنة

ونحن هنا في هذا البحث نذكر بعض ما يتعرض له المسلمون من أذى في عدد من الدول، مثل:

المسلمون في أنغولا

تناقلت وسائل الإعلام المختلفة ما يتعرض له المسلمون في أنغولا، وما تردد عن محاربة الحكومة الأنغولية للإسلام والمسلمين في بلادها، من خلال منع المسلمين من ممارسة شعائرهم الدينية، وإغلاقها للمساجد، ورفضها الاعتراف بالإسلام، بالرغم من أن عدد المسلمين فيها لا يقل عن مليون مسلم أتوا من عدة دول عربية وأفريقية، فسكنوا فيها وعاشوا بين أهلها حياة طبيعية شأنهم في ذلك شأن سائر مواطني الدولة.

وهناك دلالات تشير إلى أن الإسلام وصل إلى أنغولا منذ زمن بعيد وقبل وصول الاستعمار الأوروبي، ففي أنغولا يوجد شارع يسمى شارع (مورتالا محمد) أي (الشهيد محمد)، وهو كما يُروى أنه رجل مسلم دافع عن أنغولا ضد الغزاة الهولنديين الذين استعمروا أنغولا قبل البرتغاليين، واستمر في حربه معهم حتى استشهد، كما يوجد في أنغولا جزيرة تسمى (موسولو) وهي محرفة عن (مسلمو) أي المسلمون.

وفي أنغولا حالياً نسبة لا بأس بها من المسلمين الذين قدموا من غرب أفريقيا إلى أنغولا بهدف التجارة، وقد كونوا جمعية إسلامية وبنوا مسجداً في العاصمة لواندا.

إن ما تقوم به الحكومة الأنغولية ضد الإسلام والمسلمين يتنافى مع الحرية الدينية وأبسط الحقوق الإنسانية ومبادئ التسامح، كما أنه لا يخدم التعايش السلمي وحوار الحضارات الذي يمارسه المسلمون مع غيرهم، بل يُعدّ تطوراً خطيراً مناهضاً للقيم الإنسانية والحريات واحترام حقوق الإنسان، كما أنه يُعمّق مشاعر الكراهية والتمييز بين المسلمين وغيرهم.

المسلمون في جمهورية أفريقيا الوسطى

نتابع بكل حزن وأسى الجرائم البشعة التي تُمارَس ضد المسلمين في جمهورية أفريقيا الوسطى، حيث يتعرض المسلمون هناك للقتل والحرق والطرْد والتشريد والتطهير العرقي، وحرق المساجد والبيوت، مما أدى إلى نزوح آلاف المسلمين من جمهورية أفريقيا الوسطى إلى البلاد المجاورة هرباً من هذه الأعمال الوحشية، ومن المؤسف أن هذه الجرائم تُرتكب على مرأى ومسمع من الحكومة المحلية والعالم أجمع.

إننا نستنكر بشدة صمت العالم عمّا يجري من إبادة جماعية للمسلمين في جمهورية أفريقيا الوسطى، وما يتعرضون له من اعتداءات إجرامية، فالعالم وللأسف لم يحرك ساكناً إزاء هذه الجرائم؛ لذلك لا بُدَّ من وقفة جادة من أبناء الأمتين العربية والإسلامية مع إخوانهم المسلمين في جمهورية أفريقيا الوسطى، وذلك بضرورة العمل على وقف هذه الجرائم وكبح جماح هذه الجماعات المتطرفة، وفتح الحدود أمام الجمعيات الخيرية والإغاثية للوصول إلى هؤلاء المستضعفين المضطهدين الذين يتعرضون لأعتى أنواع الظلم، تنفيذاً لتعاليم ديننا الحنيف الذي يبين بأن المسلمين كالجسد الواحد، وأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً.

المسلمون في بورما

لا تخفى على أحد تلك الجرائم البشعة التي يتعرض لها المسلمون في إقليم أراكان في بورما (ميانمار)، حيث يتعرض المسلمون هناك للتطهير العرقي والقتل والطرْد والتشريد وحرق المساجد والبيوت باعتراف الهيئات الدولية لحقوق الإنسان.

إننا نستنكر بشدة صمت العالم عما يجري من إبادة جماعية لمسلمي بورما، وما يتعرضون له من اعتداءات إجرامية، فالعالم وللأسف يغمض عينيه ويصم أذنيه عما يجري للمسلمين هناك.

ومن الجدير بالذكر أن أكثر من أربعة ملايين مسلم في أراكان يواجهون خطر الإبادة والتطهير العرقي، مع العلم أن الإسلام قد وصل إلى أراكان في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد في القرن السابع الميلادي عن طريق الرحالة العرب، حتى أصبحت دولة مستقلة حَكَمَهَا ثمانية وأربعون ملكاً مسلماً على التوالي وذلك لأكثر من ثلاثة قرون ونصف، وانتشر الإسلام والحمد لله في كافة بقاع بورما، حيث توجد بها آثار إسلامية رائعة كالمساجد والمدارس والأربطة؛ لذلك لا بُدَّ من وقفة جادة من أبناء الأمتين العربية والإسلامية مع إخوانهم المسلمين في بورما (ميانمار)، تنفيذاً لتعاليم ديننا الإسلامي الذي يبين بأن المسلمين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، ونطالب الحكومات العربية والإسلامية، ومنظمة التعاون الإسلامي والمجتمع الدولي ومنظمات الأمم المتحدة بالوقوف ضد هذه الجرائم، وضرورة العمل على وقفها، ولجُم الأغلبيّة البوذية في بورما، والتي تقوم بحرب تطهير عرقية ضد المسلمين هناك، وناشد المؤسسات والمنظمات الخيرية والإنسانية في العالم أجمع وخاصة في البلاد الإسلامية، بضرورة الوقوف مع إخوانهم في أراكان وخاصة دولة بنغلادش المجاورة؛ لتقوم بتوفير الحماية للاجئين، وفتح الحدود أمام الجمعيات الخيرية والإغاثية للوصول إلي اللاجئين في إقليم أراكان.

ومن الجدير بالذكر أن الاعتداءات الإجرامية مازالت مستمرة على المسلمين في إقليم أراكان في بورما (ميانمار)، وهذا ما أكدته العديد من وسائل الإعلام، ومنها:

١ - ميانمار منعت المسلمين «الروهينغا» من الحج للمرة الثانية^(١).

كشف الأمين العام للجمالية البرماوية عبد الله معروف في تصريحات إلى «الحياة» أن عدداً كبيراً من الحجاج من الأقلية الروهنغية في إقليم أراكان في ميانمار «بورما سابقاً»، منعتهم الحكومة من أداء فريضة الحج للعام الثاني على التوالي ولم تقدم لهم أدنى تسهيلات في هذا الشأن.

وأضاف: لم يستطع أحد من الروهنغيين القدوم لأداء فريضة الحج، وذلك بسبب الاضطهاد الذي يتعرضون له، وكان آخر وفود الحجاج التي تضم في صفوفها روهنغيين جاءت قبل ثلاثة أعوام، إذ تمكنت من الوصول إلى الديار المقدسة بواسطة جواز المرور الذي منعتة الحكومة الميانمارية منذ عامين.

وأشار إلى أن المواطنة نُزعت من الروهنغيين منذ عام ١٩٨٢م وعُقدت مؤتمرات على مستوى العالم تسعى إلى حل مشكلة الأقلية الروهنغية، منها مؤتمر عُقد في مدينة جنيف، انتهى بالتوصية بإثبات حق الروهنغية، إضافة إلى مؤتمر عقده الكونغرس الأمريكي في مدينة نيويورك وتم خلال المؤتمر إصدار قانون (٤١٨) الذي أكد حق المواطنة وإعادة اللاجئين وإعطاءهم الجنسية الميانمارية، ورفعت التوصيات كافة إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة.

(١) جريدة الحياة بالمملكة العربية السعودية، يوم الأربعاء ٧/ ذو الحجة ١٤٣٥هـ وفق

١٠/١/٢٠١٤م، العدد ١٨٨٠٧، ص ٤.

٢- السلطات في ميانمار لا تعاقب من يقتلون المسلمين هناك^(١)

قال سفير الولايات المتحدة في ميانمار إن الوضع الإنساني في ولاية راخين يستمر في التدهور، ولا يُعاقب من يقوم بالهجمات ويقتلون أفراداً من الأقلية المسلمة في تلك البلاد.

وأضافت السفارة سامنتا باور أن حوالي مائة ألف مسلم من أقلية الروهينجا محتجزون في معسكرات اعتقال، وانتقدت السفارة القانون المقترح الذي سيُجبر الروهينجا على التخلي عن عرقيتهم لتسجيلهم كمواطنين، وكانت باور تتحدث عن سياسة بلادها الخارجية في ولاية كنتاكي، وأوضحت باور كيف أن الحزبين الديمقراطي والجمهوري في الولايات المتحدة تعاوننا للضغط من أجل إصلاحات سياسية في ميانمار، غير أنها أضافت أن ميانمار ما تزال بعيدة جداً عن الديمقراطية التي تحترم حقوق الإنسان.

مما سبق يتبين أن المسلمين في كل من أنغولا، وجمهورية أفريقيا الوسطى، وبورما، يتعرضون لكثير من ألوان التعذيب والقتل والحرق والتهجير، لأنهم آمنوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، يُحَارَبُونَ لدينهم وَيَقْتَلُونَ بسبب إيمانهم، فالحكومات في هذه البلاد اللا إنسانية تقوم بهذه الجرائم حقداً على الإسلام والمسلمين، دون أدنى مراعاة لحقوق الإنسان ولقيم الإنسانية التي يُنادي بها العالم اليوم.

(١) جريدة القدس الفلسطينية، يوم الخميس ٢٤/ربيع أول/١٤٣٦هـ، وفق ١٥/١/٢٠١٥،

محاربة الحجاب في بلاد الغرب

تناقلت وسائل الإعلام المختلفة خبر اغتيال مروة الشربيني على يد شاب ألماني متعصب من أصول روسية بسبب الحجاب، وقد اغتيلت في إحدى المحاكم الألمانية بتاريخ ١/٧/٢٠٠٩م بثماني عشرة طعنة والشرطة الألمانية لم تحرك ساكناً!!، ويُذكر أن مروة الشربيني سيدة مصرية عمرها اثنتان وثلاثون عاماً، تعيش مع زوجها وابنها في ألمانيا، وقد لجأت مروة الشربيني إلى المحكمة الألمانية لرفع قضية ضد الشاب الألماني المتعصب على خلفية مشادة بينهما وقعت منذ عام تقريباً بحديقة أطفال، عندما تهجم عليها الألماني المتعصب بسبب لبسها للحجاب العادي، وأخذ يسبها ويشتمها أمام الناس ويشتم الإسلام ويهددها.

إن هذا العمل يُعدّ جريمة كبرى، وهو تطاولٌ على المرأة المسلمة وعلى الإسلام والمسلمين، ويشير الضغائن والكرهية بين الشعوب، كما يُظهر مدى تأثر الغربيين بالحملات الإعلامية الموجهة ضد الإسلام والمسلمين عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، حيث أضحى الإعلام الغربي يُحرّض على الربط الآلي بين الإسلام والإرهاب، لتشويه صورة هذا الدين في العالم، ونتيجة ذلك فإن المسلمين في الغرب يتعرضون لمضايقات متعددة، حيث أصبحوا يوماً عرضة للإهانات والاستفزازات والأعمال العنصرية.

كما نرى من مظاهر مهاجمة الحجاب ما أعلنه الرئيس الفرنسي السابق نيكولا ساركوزي، حيث وَضَّح موقفه تجاه الحجاب والنقاب الذي تزايد ارتداؤه في الكثير من أنحاء فرنسا، قائلاً: بأنه غير مُرَحَّب به في فرنسا، ولا ننسى أزمة ارتداء الطالبات للحجاب الإسلامي في فرنسا سنة ٢٠٠٣م، وما صاحبه من توجهٍ فرنسي رسمي لمنع الطالبات المسلمات من ارتداء الحجاب في

المدارس، حيث يتنافى ذلك مع الحرية الدينية والحرية الشخصية التي أكدتها كل القوانين والمواثيق الإنسانية.

بعد هذا كله يتحدث الغرب عن العدالة وحماية حقوق الإنسان!

ومن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى قد فرض الحجاب على المرأة المسلمة تكريماً لها وحفاظاً على مكانتها السامية، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا
النُّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابٍ عَلَيْهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ
يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩].

ومن هنا فإننا نطالب المسلمين في شتى بقاع المعمورة بضرورة الوقوف مع إخوانهم المسلمين في هذه البلاد، وغيرها من البلاد التي يتعرض فيها المسلمون للقمع والتنكيل كالهند وتايلاند والفلبين، كما أننا نطالب المجتمع الدولي ومنظمة الأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان بصفة عامة والحكومات العربية والإسلامية بصفة خاصة بضرورة وضع حدٍ لهذه الجرائم ضد المسلمين والعمل على وقفها، ومنع هذه الحكومات المجرمة من الاستمرار في اضطهادها للمسلمين، كما أننا نطالب منظمة التعاون الإسلامي والمنظمات الخيرية والإنسانية في البلاد العربية والإسلامية أن تقف عند مسؤولياتها، فتعمل على حماية المسلمين المُعذَّبين في هذه الدول، كما ناشد رابطة العالم الإسلامي والمؤسسات الإسلامية الأخرى بضرورة متابعة ما يجري في تلك البلاد، وفضح هذه الجرائم، ووجوب التصدي لها والعمل على وقفها، كما ناشد علماء الأمة وقادة الرأي فيها بضرورة توعية المسلمين بهذه القضايا الإسلامية، فالمؤمن للمؤمن كالبيان يشد بعضه بعضاً، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

ثالثاً: قضية فلسطين

تحتل فلسطين مكانة مميزة في نفوس العرب والمسلمين، حيث تهفو إليها نفوس المسلمين، وتُشد إليها الرحال من كل أنحاء المعمورة، ففيها المسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين، وفيها التاريخ الإسلامي العريق، فلسطين أرض وقف إسلامي إلى يوم القيامة، هي أرض عربية الأصول، إسلامية الجذور، منذ آلاف السنين، وتلك إشارة واضحة على فضلها ومكانتها، كما أنها تمثل رداً واضحاً على الادعاءات الباطلة التي تزعم بأن لليهود حقاً تاريخياً ودينيّاً في فلسطين.

إن المسجد الأقصى المبارك هو مسجد إسلامي بقرار رباني، كما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَّا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، فالمسجد الأقصى المبارك مسجد إسلامي وليس لغير المسلمين حق فيه، وعلى الرغم من ذلك إلا أن سلطات الاحتلال تدّعي زوراً وهتاناً أحقية اليهود في هذا المكان، فسلطات الاحتلال الإسرائيلي مازالت مستمرة في تنفيذ مخططاتها الإجرامية والاعتداء على المقدسات والمواطنين المقدسين، فاعتداءاتهم طالت الشجر والحجر والبشر والتاريخ والحضارة في هذه المدينة المقدسة، في خطوة إجرامية تهدف إلى طمس المعالم العربية والإسلامية فيها.

إن القدس في هذه الأيام تتعرض لمحنة من أشد المحن وأخطرها، فالمؤسسات فيها تُغلق، والشخصيات الوطنية تُلاحق، والبيوت تُهدم، والأرض تُنهَب، والهويات تُسحب، وجدار الفصل العنصري يلتهم الأرض، وكل معلم عربي يتعرض لخطر الإبادة والتهويد، وسلطات الاحتلال تُشرع في بناء عشرات

الآلاف من الوحدات الاستيطانية لإحداث تغيير ديموغرافي في المدينة المقدسة من أجل إضفاء الطابع اليهودي عليها، والمسجد الأقصى المبارك يتعرض لهجمة شرسة، فمن حفريات أسفله، إلى بناء كُنُس بجواره، إلى منع سَدَنته وحرَّاسه وأصحابه من الوصول إليه، ومنع الأوقاف من الترميم، ومحاولاتهم الحثيثة لفرض التقسيم الزماني والمكاني، كل ذلك تمهيداً لبناء ما يُسمى بهيكلهم المزعوم على أنقاض المسجد الأقصى المبارك، والعالم وللأسف يُغلق عينيه ويصم أذنيه عما يجري في القدس، وكأن القدس خارج حسابات المجتمع الدولي.

ومن المعلوم أن قطاع غزة قد تعرض لحروب واعتداءات إجرامية متتالية، حيث قامت قوات الاحتلال الإسرائيلي بهجمات شرسة على شعبنا الفلسطيني في قطاع غزة الصامد، فقد اسْتُشهِد الآلاف معظمهم من الأطفال والنساء والشيوخ، بالإضافة إلى عشرات الآلاف من الجرحى والمصابين، كما تم تدمير الآلاف من البيوت والجمعيات والمؤسسات الخيرية والمصانع، حتى المساجد والمستشفيات والجامعات والمدارس والمقابر لم تسلم من هذه الاعتداءات الإجرامية، وقد نتج عن هذه الاعتداءات الإجرامية تشريد عشرات الآلاف من الأسر الفلسطينية من بيوتها، حيث لا تجد مأوى لها، فهناك أطفال رُضِع ونساء وشيوخ يفترشون الأرض ويلتحفون السماء، وليس هناك مكان آمن في قطاع غزة، فماذا ينتظر العالم حتى يصحو من سُباته؟!!!

ومن الجدير بالذكر أن المقدسات في المدينة المقدسة بصفة عامة والمسجد الأقصى المبارك بصفة خاصة تتعرض للاعتداءات اليومية من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي، ويُعد حائط البراق من أكثر الأماكن تعرضاً للاعتداءات من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي، حيث إننا سنركز في بحثنا

هذا عليه، نظراً لصدور قرار دولي سنة ١٩٣٠م، وقبل احتلال فلسطين يؤكد على أن حائط البراق جزء من المسجد الأقصى المبارك، وأنه ملك للمسلمين، ومع ذلك لم يتم الالتزام بهذا القرار، ومما يؤسف له أن بعض الدول العظمى في مجلس الأمن الدولي تستخدم حق النقض (الفيتو) ضد أي قرار لصالح القضية الفلسطينية.

حائط البراق... ملك للمسلمين

من المعلوم أن حائط البراق جزء من السور الغربي للمسجد الأقصى المبارك الممتد من أسفل المدرسة التنكزية شمالاً إلى حد باب المغاربة جنوباً، يبلغ طوله حوالي ٤٨ متراً، وارتفاعه حوالي ١٧ متراً، مبني بالحجارة الضخمة التي يبلغ طول بعضها خمسة أمتار.

هذا البناء يعود للفترة الإسلامية الأولى بأسلوبه ونوعية حجارته، حيث إن الجزء السفلي منه مبني بالحجارة الضخمة، والجزء العلوي بحجارة مختلفة نوعاً ما وأصغر حجماً، والسبب في ذلك يعود إلى الترميمات التي حدثت في فترة الأيوبيين والمماليك عند بناء القناطر الغربية لسور المسجد الأقصى المبارك.

سبب التسمية:

حائط البراق هو الحائط الذي ربط رسولنا الكريم محمد ﷺ دابته (البراق) فيه، حين أسرى به ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ويرجع سبب التسمية إلى الدابة (البراق) التي امتطها الرسول ﷺ فسمي الجدار الغربي بحائط البراق نسبة لهذه الدابة، (أما البراق فهو دابة فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه).

ما أهمية هذا الحائط بالنسبة للمسلمين؟

إن حائط البراق جزء لا يتجزأ من المسجد الأقصى المبارك، ومن المعلوم أن المسجد الأقصى المبارك أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها، وهو المسجد الذي أسرى الله سبحانه وتعالى نبينا محمد ﷺ إليه، وبارك حوله، كما جاء في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا لَهُ حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

لقد كان المسجد الأقصى المبارك القبلة الأولى للمسلمين منذ فرضت الصلاة في ليلة الإسراء والمعراج، وقد استقبله المسلمون ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً بعد الهجرة، حتى أذن الله بتحويل القبلة إلى بيت الله الحرام.

لهذا فإن مكانة حائط البراق عظيمة عند المسلمين لأنه جزء من المسجد الأقصى المبارك، وارتباط المسلمين بالمسجد الأقصى ارتباط عقدي، لأن حادثة الإسراء من المعجزات، والمعجزات جزء من العقيدة الإسلامية، فلا يحق لأي مسلم أن يسمح لأحد بالاعتداء على المقدسات في فلسطين وخاصة المسجد الأقصى المبارك وحائطه الغربي (حائط البراق).

متى بدأت أطماع اليهود في المكان؟

بدأت أطماع اليهود في المكان ومحاولاتهم التدخل في شؤونه في أواخر عهد الدولة العثمانية، ففي سنة ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م بدأت المزاعم والأطماع الإسرائيلية بالظهور العلني، حيث أعلنوا ملكيتهم لحائط البراق، وأسموه زوراً وبهتاناً حائط المبكى، وقد اتخذوه موضعاً للبكاء على ملكهم الضائع، ومن هذا البكاء عُرف الحائط زوراً وبهتاناً باسم حائط المبكى.

وقد سمحت الإدارة العثمانية كمئة لليهود وليس كحق لهم بزيارة المكان (الرصيف) الذي حُدِّد لهم والوقوف أمام الحائط فقط، ولم تسمح لهم بإحضار أية أدوات عبادة أو خلافه مما يعطيهم الحق في الادِّعاء بهذا المكان، مع الإشارة إلى أن الساحة التي كان يقف عليها اليهود هي من الأملاك الوقفية الإسلامية الصحيحة.

ولما حاول اليهود تغيير الواقع الموجود، اندلعت ثورة كبيرة عُرفت (بثورة البراق) سنة ١٩٢٩م وقد شملت جميع أنحاء فلسطين.

لذلك فقد اقترحت الحكومة البريطانية (حكومة الانتداب على فلسطين) العمل على تسوية الخلاف، فتقدمت باقتراح إلى مجلس عصبة الأمم في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٩٣٠م، والذي قرر فيما بعد إرسال لجنة دولية خاصة للتحقيق في حقوق العرب واليهود في البراق ودراسة الأمر وتقديم التقرير اللازم، وفي ٢٦ أيار سنة ١٩٣٠م وصلت إلى القدس لجنة لدراسة مسألة البراق وإصدار حكم فيها بموافقة عصبة الأمم، على أن تكون اللجنة مؤلفة من غير بريطانيين فكانت كما يأتي:

- لوفكيرن وزير الشؤون الخارجية في حكومة السويد سابقاً (الرئيس).
- بارد من أهالي سويسرا ومن ذوي الخبرة بالشؤون القضائية (عضو).
- فان كامبن من موظفي حكومة المستعمرات في وزارة هولندا سابقاً (عضو).

وبعد أن أجرت اللجنة التحقيق اللازم وجمعت المستندات والوثائق اللازمة لكلا الطرفين، فقد أصدرت قرارها والذي جاء فيه:

- للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي، ولهم وحدهم الحق العيني فيه، لكونه يؤلف جزءاً من مسجد الأقصى المبارك.
- للمسلمين أيضاً تعود ملكية الرصيف الذي أمام الحائط، وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة لكونه موقوفاً حسب أحكام الشرع الإسلامي الحنيف.

وبعد حرب حزيران سنة ١٩٦٧م وسقوط القدس بأيدي اليهود الصهاينة كان أول ما فعلوه زيارة قادتهم ورؤسائهم لحائط البراق، وبعدها بفترة قصيرة بدأوا بالعمل بتوسيع الساحة إلى عرض ٨٢ متراً، وذلك على حساب حارة المغاربة الموقوفة وقفاً إسلامياً صحيحاً والتي كانت تضم فقراء القدس، حيث قامت جرافات الاحتلال بإزالة حارة المغاربة بالكامل، فقد قامت بهدم أكثر من (١٣٥) داراً في حي المغاربة يسكنها حوالي (٦٥٠) مواطناً، كما هدموا مسجدين في الحي نفسه، وكذلك على حساب حارة الشرف بما تحويه من مدارس ومساجد أثرية وبيوت ومستشفيات، وخلافه، حيث قام اليهود بإنذار الأهالي لإخلاء الحارة كاملة خلال أربع وعشرين ساعة، إلا أنهم لم يُمهّلوا السكان حتى يقوموا بإخلاء الحارة فقاموا بهدمها على متاع أهلها، وقُتلت في عملية الهدم امرأة عجوز لم تستطع مغادرة منزلها، وكل ذلك تم وسط إطلاق الرصاص المتواصل لإرهاب الأهالي والسكان العزل مخالفين بذلك أبسط الحقوق الإنسانية بالحفاظ على حياة الناس، ومخالفين الأنظمة والقوانين العالمية والشرعية الدولية بما أصدرته من قرارات تضمن حقهم بأرضهم وعقاراتهم وتعدياً صارخاً على حقوق المواطنين المسلمين.

والآن تحوّل المكان برمته إلى مكان يهودي بعد عمليات الهدم الإجرامية

التي قاموا بها في حارة المغاربة الملاصقة لحائط البراق، حيث حولوها إلى ساحة يؤمها اليهود لأداء طقوسهم الدينية، وقد أسموها ساحة المبكى، وهي الساحة المطلة على حائط البراق وملاصقة له، وأصبحوا يصلون في ذلك المكان ويكون عنده، ولا يسمحون للمسلمين أصحابه الشرعيين بالاقتراب منه.

فمن أرض المسجد الأقصى المبارك وسمائه تنبعث الذكريات، ومن تاريخه العريق وروحانيته السمحة تطل الأحداث وضياء عطرة، فأى امرئ مسلم لا يذكر حادثة الإسراء، ومجيء رسولنا ﷺ إلى هذه الأرض المباركة، ومربط البراق في الحلقة التي كان الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- يربطون بها دوابهم!، نعم لقد جاء نبينا محمد ﷺ ومعه جبريل - عليه الصلاة والسلام - إلى هذه الأرض المقدسة، فزادت قداسة وإشراقاً ونوراً وبهاء، وربط ﷺ البراق في الحائط الغربي من جدران المسجد الأقصى المبارك.

هذا هو حائط البراق الذي يشكل جزءاً أصيلاً من المسجد الأقصى المبارك، وليس كما يسميه المحتلون زوراً وبهتاناً بأنه حائط المبكى.

ومما سبق يتبين لنا مدى أحقية المسلمين في هذا المكان المقدس، وأنه ملك لهم وحدهم، وكل القرارات الدولية في هذا المجال جاءت لصالح المسلمين، وعلى الرغم من ذلك كله إلا أن سلطات الاحتلال الإسرائيلي ضربت بقرارات مجلس الأمن عرض الحائط ولم تنفذ منها شيئاً، بل ازدادت وتيرة الاعتداءات الإسرائيلية على المسجد الأقصى بكل مكوناتة في الفترة الأخيرة، كما توالى الاعتداءات على المصلين والمعتكفين وطلبة العلم في المسجد الأقصى المبارك، دون مراعاة لمشاعر المسلمين في العالم.

إننا ندعو أبناء أمتنا العربية والإسلامية إلى ضرورة المحافظة على الأقصى والقدس والمقدسات، والعمل على إنهاء هذا الاحتلال لها، كما ندعو جميع الأطراف الدولية والمؤسسات الحقوقية والإنسانية، والمنظمات التي تختص بالمحافظة على الأماكن الأثرية والتاريخية والدينية في العالم، بضرورة التصدي والتدخل من أجل وقف الاعتداءات الإسرائيلية على الآثار والمقدسات الإسلامية، كما نطالب منظمة اليونسكو بتحمل مسؤوليتها بحماية الآثار الإسلامية في المدينة المقدسة وفي مقدمتها المسجد الأقصى المبارك.

رابعاً: الإساءات إلى رسول الله ﷺ

لقد اختار الله - سبحانه وتعالى - محمداً ﷺ خاتماً للأنبياء والمرسلين، وأرسله بالهدى ودين الحق حاملاً خير الرسالات، مُبلِّغاً كتاب ربه تبياناً لكل شيء، هادياً للتي هي أقوم، مُتممماً لمكارم الأخلاق، هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وكان ﷺ المثل الأعلى في جميع جوانب حياته، ومما يُحزن النفس ويذمي القلب أن يتعرض رسولنا ﷺ لهذه الإساءات، حيث تتناقل وسائل الإعلام المختلفة بين الفينة والأخرى، بعض الإساءات من الحاقدين على رسول الله ﷺ وعلى الإسلام والمسلمين، ومن ذلك على سبيل المثال قيام المجلة الفرنسية (شارلي إيبدو) بنشر رسوم مسيئة للرسول الكريم ﷺ، وكذلك الفيلم المسيء للرسول ﷺ فهذه الأعمال الإجرامية تأتي امتداداً لما قامت به بريطانيا قبل سنوات عندما منحت لقب (الفارس) إلى سلمان رشدي صاحب رواية (آيات شيطانية)، حيث تضمنت الرواية افتراءات وأكاذيب عن الإسلام ورسوله ﷺ.

إن هذه الأعمال الإجرامية ليست من حرية الرأي والتعبير في شيء، بل هي مخالفة لكل الشرائع السماوية والمواثيق والأعراف الدولية، وكذلك للحكمة والمنطق السليم، فهذه الأعمال تُعدّ جريمة كبرى وتطاولاً على الرسول ﷺ وعلى الإسلام والمسلمين، وتثير الضغائن والفتن والكراهية بين الشعوب، كما أنها تدل على ما يُضمّره أولئك من حقد دفين على الإسلام ورسولنا ﷺ والمسلمين عامة.

لقد درج بعض الحاقدين على التشكيك في نبي الإسلام، والطعن في رسالته ﷺ لأنهم يريدون الإساءة للرسالة الإسلامية والنيل من صاحبها ﷺ كما قال

تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿[الصف: ٨-٩].

ومن المعلوم أن ديننا الإسلامي الحنيف يحترم جميع الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - ويعرف فضلهم، كما يوجب على المسلمين الإيمان بهم جميعاً، لقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقد سبق لنا أن ندّدنا بالأفلام التي عُرضت قبل سنوات في أوروبا والتي تُسيء إلى سيدنا عيسى - عليه الصلاة والسلام - وأمّه مريم البتول، حيث إن أي إساءة لأي رسول تُعدُّ إساءة لجميع الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام -.

إن الواجب على المسلمين دراسة سيرة نبينا ﷺ والتعرف على جميع جوانب حياته، وضرورة اتباع منهجه والعمل بسنته والسير على هديه ووجوب نصرته والتخلق بأخلاقه وآدابه ﷺ وتعريف الآخرين برسالة الإسلام السمحة من خلال وسائل الإعلام المختلفة.

ونحن هنا نطالب جميع الدول والمؤسسات والهيئات الدولية بضرورة اتخاذ موقف موحّد وحازم ضد القائمين على هذه الإساءات والمدافعين عنها.

كلنا فدواك يا رسول الله:

إن هذه الأعمال الإجرامية تثير حالة من الغليان والغضب الشعبي والرسمي في العالمين العربي والإسلامي، نتيجة لهذه الأعمال المسيئة للإسلام والمسلمين في كافة أرجاء المعمورة، كما أنها تأتي امتداداً للرسوم المسيئة للرسول ﷺ والتي حدثت في الدنمارك قبل سنوات، حيث عبّرت الأمة عن مدى حبها للنبي ﷺ فرأينا الشجب والاستنكار لذلك، كما رأينا المؤتمرات

تُعقد لنصرتَه ﷺ، وكما قال الشاعر:
يا سيدي يا رسولَ اللهِ أَلَمْنَا * * أن قام غرُّ بدارِ الكفرِ عَادَاكَ
وغيرُهُ قامَ في حقدٍ وفي صَلفٍ * * بالزورِ والظلمِ والعدوانِ آذَاكَ
هذا وذاك يريدانِ الدمارَ لَنَا * * لا تُبقِ ياربُّ لا هذا ولا ذاك

فديننا الإسلامي يوجب علينا حبَّ رسولنا ﷺ:

أليس هو النبي الذي رفع الله ذكره، كما في قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤].

أليس هو الذي قرن الله طاعته بطاعته، فقال: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠].

أليس هو الذي قرن الله محبته بالسير على هديه، فقال: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

أليس هو الذي سيندم العصاة على مخالفته، كما في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ [الأحزاب: ٦٦].

أليس هو الذي أمر الله المؤمنين بالصلاة والسلام عليه، فقال: ﴿ إِنْ أَلَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وقد ضرب الصحابة الكرام ﷺ أروع الأمثلة في حب الرسول ﷺ حيث سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ، فقال: «والله إن رسول الله كان أحبَّ إلينا من آبائنا وأمهاتنا وفلذات أكبادنا، وكان أحبَّ إلينا من الماء البارد على الظمأ»، وانتشر هذا الحب بين صفوف

المؤمنين وأصبح ديدنهم والعلامة الدالة عليهم والصفة البارزة فيهم، حتى شهد بذلك الحب زعيم مكة وقتئذ أبو سفيان بن حرب -والفضل ما شهدت به الأعداء- وقال كلمته المشهورة: (والله ما رأيتُ أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد لمحمد) متى قالها ومتى نطق بها -حينما جيء يزيد بن الدثنة أسيراً ليقتل، فقال له أبو سفيان - أناشدك الله يا زيد، أتحب أن تعود معافاً لأهلك وولدك، وأن يؤتى بمحمد هنا في مكانك ليقتل؟ فغضب زيد أشد الغضب وقال: (والله ما أحب أن أرجع سالمًا لأهلي وأن يُشاك محمد بشوكة في أصبعه)، وقد خلّد أحد الشعراء هذه الحادثة بقوله:

أَسْرَتُ قُرَيْشٍ مُسْلِمًا فِي غَزْوَةٍ * * * فَمَضَى بِلاَ وَجَلٍ إِلَى السِّيَافِ
سَأَلُوهُ هَلْ يُرْضِيكَ أَنَّكَ سَالِمٌ * * * وَلَكَ النَّبِيُّ فِدَىٍّ مِنَ الإِجْحَافِ
فَأَجَابَ كَلًّا لَا نَجْوَتْ مِنَ الرَّدَى * * * وَيُصَابُ أَنْفُ مُحَمَّدٍ بِرَعَافِ

هكذا ضرب صحابة رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في الحب والتضحية والفداء لرسولنا ﷺ حيث إنهم فدوه بأنفسهم وأولادهم وأهليهم وأموالهم.

لقد صور أمير الشعراء أحمد شوقي رَحِمَهُ اللهُ حَالِ الْعَالَمِ قَبْلَ بَعْتِهِ ﷺ تَصْوِيرًا صَادِقًا حَكِيمًا، حيث كانت عبادة الأصنام منتشرة، كما كان الظلم واقعًا ملموسًا بين الناس، وكانت الحروب تنشب على أتفه الأسباب، وفارس الروم كانتا تعيثان في الأرض فسادًا، والناس كالحيتان في البحر يفتك أقواهم بأضعفهم، ذكر ذلك رَحِمَهُ اللهُ فِي قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ «نَهج البردة» فقال:

أَتَيْتَ وَالنَّاسُ فَوْضَى لَا تَمُرُّ بِهِمْ * * * إِلاَّ عَلَى صَنْمٍ قَدْ هَامَ فِي صَنْمِ
وَالْأَرْضُ مَمْلُوءَةٌ جَوْرًا مُسْخَرَةٌ * * * لِكُلِّ طَاغِيَةٍ فِي الْخَلْقِ مُحْتَكِمٌ

وخلال تلك الفترة المظلمة جاءت بعثة النبي محمد ﷺ لتُخرج الناس من الظلمات إلى النور، من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات القهر إلى نور العدل، فالرسول -عليه الصلاة والسلام- جاء رحمة للعالمين، وكما قال ربعي بن عامر رضي الله عنه: (إن الله قد ابتعثنا لنُخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل وسماحة الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة).

خامساً: الإسلام... دين التسامح

لقد أنعم الله تعالى على البشرية برسالة سيدنا محمد ﷺ، هذه الرسالة التي ختم الله بها الرسالات، وجاءت كاملة شاملة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

هذه الرسالة السماوية نزلت على سيدنا محمد ﷺ في بطحاء مكة، وبفضل الله سبحانه وتعالى، بدأت تنتشر انتشاراً واسعاً وسريعاً في أرجاء المعمورة، ومع ذلك فإننا نجد أن هناك من يقول: إن الإسلام انتشر بالسيف وهذا قول خاطئ، فالإسلام لم ينتشر بالسيف ولا بالقوة ولا بالعنف، لأنه لو انتشر الإسلام بالسيف لزال الإسلام يوم أن زال السيف، فهذه بريطانيا كانت الشمس لا تغيب عن ملكها بفعل السيف فلما زال السيف زالت، لكن سيف الإسلام - على حد قول هؤلاء - زال، ولكن بفضل الله ورحمته نرى وجوهاً جديدة تدخل كل يوم في دين الله أفواجا، فديننا الإسلامي انتشر بالأخلاق، بالقدوة الصالحة، بالحكمة والموعظة الحسنة، هذا ما تحلى به التجار المسلمون يوم طافوا البلاد - شرقاً وغرباً - بأخلاقهم الكريمة وصفاتهم الطيبة، فدخل الناس في دين الله أفواجا.

إن الحرية الدينية شيء شرعه ديننا الإسلامي الحنيف، فصيحة ﴿لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١]، هذه الصيحة لم تُعرف إلا في كتابنا العظيم، كما أن صيحة: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، هذه الصيحة لم تُعرف إطلاقاً في ملة أخرى.

لقد كان العالم كله قبل الدعوة الإسلامية السمحة يعيش في برِّك من الدماء، وصراع آثم حول إكراه الناس على العقائد، حتى جاء قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وعندما نتصفح كتب التاريخ فإننا نجد صفحات مشرقة عن التسامح الإسلامي مع أهل الديانات الأخرى، وعن الأسلوب الطيب الذي اتبعه المسلمون في احترام الآخرين ومعاملتهم *

نقرأ أمثلة حية على ذلك، حيث نجد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرفض الصلاة في الكنيسة التي عرض عليه أسقف بيت المقدس أن يصلي فيها. لماذا؟ حرصاً من عمر على بقاء الكنيسة لأصحابها، فقد قال للأسقف: لو صليتُ هنا لَوَثَبَ المسلمون على المكان، وقالوا: هنا صلى عمر وجعلوه مسجداً!!

كما نلاحظ المعاملة الطيبة من المسلمين تجاه أهل الكتاب، وهذا ما دفع الكثير من أهل الكتاب للدخول في هذا الدين الجديد؛ لأنهم وجدوا فيه ضالتهم من السماحة واليسر والمحبة والأخوة.

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت عليه جنازة يهودي، فقام النبي صلى الله عليه وسلم لها، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا»^(١).

وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يرى شيخاً متوكئاً على عصاه وهو يسأل الناس، فسأل عنه فقيل: إنه كتابي، وفي رواية - نصراني - فقال: «خذوا هذا وضرباه إلى بيت المال فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته وتركناه عند شبيهه»^(٢)، كما روي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ذُبح في بيته شاه، فقال: أهديتم لجارنا اليهودي منها؟ قالوا: لا، قال: أهدوا إليه، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) أخرجه البخاري.

(٢) كتاب الخراج لأبي يوسف.

يقول: «مَا زَالَ جَبْرِيْلُ يُوصِيْنِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوْرِّثُهُ»^(١).

إن صيحة ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، تُظهر عظمة هذا الدين، وتُظهر مدى مخاطبته للعقول لتختار بين طريق الإيمان وطريق الكفر، طريق الحق وطريق الباطل، وصدق الله العظيم: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، فالإسلام لم يفرض على النصراني أن يترك نصرانيته، أو على اليهودي أن يترك يهوديته، بل طالب كليهما - ما دام يؤثر دينه القديم - إما أن يُسلم أو يدع الإسلامَ وشأنه، يعتنقه من يعتنقه، دون تهجم مر، أو جدل سيء.

إن التسامح الذي عامل به الإسلامُ غيره لم يُعرف له نظير في القارات الخمس، ولم يحدث أن انفرد دين بالسلطة، ومنح مخالفه في الاعتقاد كل أسباب البقاء والازدهار مثل ما صنع الإسلام، وفي أي مجتمع يضم أناساً مختلفي الدين، قد يثور نقاش بين هؤلاء وأولئك، وهنا نرى تعاليم الإسلام صريحة في التزام الأدب والهدوء: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

فالأخوة الإنسانية هي الأساس الذي تقوم عليه علاقات الناس، حيث إن القرآن الكريم وضع دستوراً للعلاقة بين المسلمين وغير المسلمين أيّاً كانت ديانته، كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٨) إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿[المتحنة: ٨-٩].

(١) أخرجه البخاري.

كما أننا نجد أن العهدة العمرية التي أرسى قواعدها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع بطريك الروم صفرونيوس في السنة الخامسة عشر للهجرة، تمثل لوحة فنية في التسامح الإسلامي الذي لا نظير له في التاريخ، حيث نصت العهدة على حريتهم الدينية وحرمة معابدهم وشعائرهم: (هذا ما أعطى عبد الله: عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تُهدم، ولا يُنقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يُضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود...).

لذلك نرى التسامح سائداً بين المسلمين والمسيحيين في فلسطين حيث إنهم يسرون وفق العهدة العمرية، وهذه العلاقة الطيبة بينهم ما زالت وستبقى إن شاء الله، كما نلاحظ العلاقة الطيبة بين المسلمين والمسيحيين أيضاً في بلاد عديدة.

ولعل من النماذج المشرقة الدالة على احترام المسلمين لغيرهم، قصة القبطي مع عمرو بن العاص رضي الله عنه والي مصر، حيث ضرب ابن عمرو بن العاص ابن القبطي بالسوط لأنه سبقه في السباق، وقال له: أنا ابن الأكرمين! فما كان من القبطي إلا أن ذهب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المدينة المنورة وشكا إليه عمرو بن العاص وابنه، فاستدعى الخليفة رضي الله عنه عمرو بن العاص وابنه، وأعطى السوط لابن القبطي، وقال له: اضرب ابن الأكرمين، فلما انتهى من ضربه التفت إليه عمر، وقال له: أدرها على صلعة عمرو، فإنما ضربك بسلطانه، فقال القبطي: إنما ضربت من ضربني، ثم التفت عمر إلى عمرو، وقال كلمته الشهيرة: «يا عمرو، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً».

فالإسلام لا يفرق بين المسلم والذمي في المعاملات العامة، لأن الجميع سواسية لا تفضيل ولا محاباة، حتى وإن كان أحد الخصمين مسلماً رفيع المكانة والآخر يهودياً أو مسيحياً.

وقد كثرت الأحاديث الخاصة بتحذير المسلمين من ظلم غير المسلم، أو انتقاصه حقه أو إلحاق الأذى به، حيث يقول الرسول ﷺ: «مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِداً، أَوْ انْتَقَصَهُ حَقًّا، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ؛ فَأَنَا حَاجِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

ومن الجدير بالذكر أن معركة طاحنة قد جرت بين الروم المسيحيين والفرس المجوس في أول عهد الإسلام، وكان النصر فيها للمجوس المشركين، وفرح المشركون في مكة بذلك النصر وشمتموا بالروم، فيما ابتأس المسلمون بسبب هزيمة المسيحيين من أهل الكتاب، ولما نزلت الآيات الكريمة في صدر سورة الروم: ﴿الْم ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۝٤ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٥ بَنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٥ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ. وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ١-٦]، ابتهج المسلمون بهذا النصر الكبير.

هذا هو المنهج الإسلامي القويم في التسامح مع الآخرين، وفي علاقة التعايش السلمي المبني على الوفاق والعدل مع غير المسلمين، ما داموا على العهد والميثاق محافظين، وتلكم هي سماحة الإسلام التي أثرت الكون كله منذ سطوع فجره، ونشرت على الإنسانية بردها وسلامها وخيرها وأمانها، ﴿صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨].

(١) أخرجه أبو داود.

الخاتمة

إن دعوة الإسلام إلى المساواة واضحة صريحة، وقد بُنيت على أساس الأخوة بين الناس جميعاً، وعدم التفاضل بالأحساب والأنساب أو الجاه والسلطان، وإنما يُقاس الفضل بالإيمان والعمل الصالح، كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقوله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَىٰ عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَىٰ أَسْوَدَ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَىٰ أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَىٰ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»^(١).

لقد صهر الإسلام جميع الأجناس في بوتقة واحدة، حيث جمع بين أبي بكر القرشي الأبيض، وبلال الحبشي الأسود، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي جعلهم إخوة متحابين بعد أن كانوا أعداء متخاصمين، فالإسلام هو الذي حقق المساواة بين الناس.

لقد كانت دعوة سيدنا محمد ﷺ دعوة الاتحاد والحب والتعاون والعدل والمساواة، عرفها الناس على هذا الأساس منذ أشرقت الأرض بنورها الوضاء، ومنذ انبعث الحق المبين، ونادى بها رسولنا ﷺ من بطحاء مكة وسط الظلمات المتكاثفة التي كانت تُخيم على أرجاء الجزيرة العربية من العقيدة الفاسدة والعصبيّة القبليّة المدمرة، والأثرة الطاغية الباغية، فهذه الدعوة المباركة جاءت

(١) أخرجه أحمد.

تدعو إلى مكارم الأخلاق، وتنشر العدل والمساواة بين جميع الأمم والأفراد، وتنظم العلاقة بين البشر، وهكذا جاء الإسلام حافلاً بالفضائل، كفيلاً بإنقاذ البشرية والسير بها إلى شاطئ الأمن والسلام.

وقد عرضنا في هذا البحث مجموعة من المحاور، حيث بينا فيه أن الأمة الإسلامية هي أمة الحق والعدل والمساواة والإنصاف بين الناس جميعاً، ولم يسجل التاريخ أن المسلمين اعتدوا على أحد أو انتهكوا حرمة أحد، أو هدموا كنيسة أو كنيسة، أو أجبروا أحداً على الدخول في الإسلام، وعلى الرغم من ذلك كله إلا أن المسلمين يتعرضون للإيذاء والتعذيب والقتل والتهجير، حيث تُسلب حقوقهم، وتُدنّس مقدساتهم، وتُهان نفوسهم، ويُعتدى عليهم، والعالم كله يشاهد ذلك بصمت مُطبق.

ومن المؤسف أن عدداً من دول العالم تكيل بمكيالين في التعامل مع قضايا المسلمين، كما هي الحال في بلادنا الحبيبة فلسطين، مقدساتنا تُدنّس يومياً ويُعتدى عليها، وحرماننا تُنتهك على مرأى ومسمع من العالم أجمع، كما يتعرض رسولنا ﷺ لحملة متعددة من الإساءة والسخرية في الصحف والمجلات المنتشرة في بعض الدول، ومع ذلك فإننا على يقين بأن جميع هذه المحاولات ستفشل بإذن الله، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر: ٥١].

ولا يخفى على أي منصف في العالم تلك المعاملة الطيبة التي عامل بها المسلمون غيرهم، حيث اشتملت هذه المعاملة على البر والعدل والمساواة والإحسان والتسامح، الذي لم يُعرف له مثل في التاريخ.

التوصيات

بعد أن تحدثنا في هذا البحث عن العدل والمساواة في الإسلام، وبالمقابل أظهرنا التحيز غير العادل في التعامل مع قضايا المسلمين، بالإضافة إلى الهجمات المتتالية على الإسلام، والإساءات للرسول ﷺ، فإنني أقدم التوصيات الآتية:

١- ضرورة العمل على صياغة استراتيجية دائمة وثابتة لمواجهة العداء للإسلام، والتهجم والإساءة إلى النبي ﷺ والعمل على إعداد مشروع فكري نُقدّم فيه للغرب شهادات المفكرين الغربيين المنصفة للإسلام، والتي سيكون لها أثر كبير في كشف الزيف الذي تمثّله حملات العداء للإسلام.

٢- تقديم مشروع للتعريف بالإسلام بأنه دين الحق والعدل والمساواة بين الناس جميعاً، كما تتم فيه ترجمة معالم الفكر الإسلامي الوسطي، وتصحيح النظرة الخاطئة عن الإسلام في الغرب، والعمل على إبراز صور سماحة الشريعة الإسلامية في العلاقة مع غير المسلمين، والتي تتأسس على مبدأ وحدة الأصل الإنساني، وكرامة النفس البشرية، والتعارف والبر والقسط، ونفي الإكراه في كل أمر؛ وبخاصة في المعتقد.

٣- توجيه رسالة لأولئك الذين أساءوا فهم الإسلام ولم يتعمقوا في دراسة تعاليمه السمحة، ولم يُحسنوا قراءة التاريخ، ليتعرفوا على أحكام الإسلام ومعاملاته لغير المسلمين، والتي تُظهر جوهر هذا الدين في التسامح مع الآخرين، بل والإحسان إليهم.

٤- ضرورة وقوف الحكومات العربية والإسلامية، ومنظمة التعاون الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي، وجامعة الدول العربية، والمجتمع الدولي ومنظمات الأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان، ضد الجرائم التي يتعرض لها المسلمون في أنغولا، وجمهورية أفريقيا الوسطى، وبورما، والهند، وتايلاند، والفلبين، بالإضافة إلى منع الحجاب الشرعي في بعض بلاد الغرب، وفضح هذه الجرائم ووجوب التصدي لها.

٥- قضية فلسطين هي القضية المركزية للمسلمين جميعاً ولا يمكن التفريط فيها، ونؤكد على مكانة المسجد الأقصى المبارك عند المسلمين بأنه جزء من عقيدتهم، وضرورة مطالبة المجتمع الدولي بالضغط على سلطات الاحتلال الإسرائيلي لمنعها من العبث به، ومنع المتطرفين اليهود من العدوان عليه وعلى المصلين فيه، وضرورة توفير الضمانات لحمايته من مخططات هدمه وتقسيمه، وندعو الدول العربية والإسلامية لضرورة العمل على تنفيذ القرارات التي أصدرها قادة الأمة في مؤتمرات القمم العربية والإسلامية، وفي مقدمتها دعم المقدسين في شتى المجالات الصحية والإسكانية والتعليمية والتجارية والإغاثية كي يبقوا مرابطين فوق أرضهم المباركة، وكذلك مساعدة أهلنا في قطاع غزة -الذين تعرضوا لحروب واعتداءات إجرامية متتالية- في شتى المجالات.

٦- العمل على نشر القرارات الدولية التي صمّت العالم عن تنفيذها، لأنها جاءت لصالح المسلمين، فإهمالها وعدم تنفيذها يعمل على إثارة حفيظة المسلمين.

٧- التعاون الفعّال بين المؤسسات الإعلامية المختلفة والمؤسسات الإسلامية المختصة، لنشر مبادئ الوسطية والاعتدال في المجتمع، من خلال إعداد البرامج المختلفة، وتخصيص المساحات الكافية في وسائل الإعلام المختلفة؛ لعرض الخطاب الإسلامي الوسطي بكل صورته وأشكاله.

٨- ضرورة اتخاذ الإجراءات القانونية الصارمة ضد الصحف والمجلات التي تسيء إلى رسولنا محمد ﷺ والعمل على محاسبتهم، لئلا يعودوا إلى مثل هذه الأعمال المسيئة، وألا يفكر أحد بتكرار ذلك، وضرورة وقوف المسلمين صفّاً واحداً في هذا المجال.

٩- مطالبة المجتمع الدولي بسنّ قانون يُجرّم الإساءة إلى الرسل والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام-، ويحاسب كل من يرتكب مثل هذه الأعمال الإجرامية.